11 me Année No. 543

Lundi - 29 - 11 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ في مصر والسودان
١٢٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٤٣ « القاهرة في يوم الإثنين أول ذو الحجة سنة ١٣٦٢ — الموافق ٢٩ نوفبر سنة ١٩٤٣ » السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

وجهـــات نظر

للأستاذ عباس محمود العقاد

كانت الملاحظات التي أبداها النقاد على كتابي « عبقرية الإمام » قليلة فيما كتب عنه حتى الآن

وأقل منها الملاحظات التي تشتمل على وجهة نظر في التاريخ أو التحليل النفسي تقوم على الدرس وتستحق المناقشة

ومن هذه ملاحظات الزميل الفاضل الأستاذ أحمد أمين بك في كلمته الموجزة بصحيفة « الثقافة »

وخلاصتها :

١ — أنني اعتمدت على بعض الروايات من غير كبير نقد، كاعتمادي على رواية نهج البلاغة في وصف الخفاش والطاووس ونحو ذلك

٢ — وأنني اعتمدت على ما روى في حديث سوأة عمرو ابن العاص ، وهي رواية لم يقرأها الأستاذ الفاضل في الطبرى ويذكرها المؤرخون الأثبات بصيغة « التمريض » . فيقول المسعودى : وقد قيل في بعض الروايات ، ويشير إليها ابن عبد البر في الاستيعاب فيقول ... « فيما ذكروا » وكلها عبارات تدل على التشكيك

٣ — وأن تقسيم الكلمة الذى نسب إلى الإمام في علم

النحو أشبه بالتقسيم المنطقي اليوناني . وهـذا كله ناب عن طبيعة العصر

٤ — وعلى الجملة كنت في « العبقريات » السابقة فناناً وقاضياً فمضيت في كتابي هذا على نهج أقرب إلى نهج المحامي والفنان ، فتعرضت للدفاع عن الإمام في مواقف النزاع أكثر مما تعرضت لرسم شخصيته . ولعل جو الكتابة في علي نفسه قضى بذلك ، لأن حياته السياسية كانت نزاعاً لم ينته حتى بالموت

* * *

وهذه الملاحظات كلها يصح أن تلخص في أمر واحد وهو اختلاف مقياس الترجيح والنفي والإثبات

وخلاصة هذا القياس عندي هو أن نجزم بدليل قاطع أو ننفي بدليل قاطع ، وأما الترجيح فالمعول في قوته وضعفه على مشابهة القول المرجح للمعهود والمعقول ، فإن كان هذا القول مشابهاً لهما فلا ضير من الأخذ به على أية حال ، كأن نعلم أن فلاناً رجل محسن فلا يضير بعد ذلك أن يقال إنه أحسن بدينار في يوم من الأيام ، وهو في ذلك اليوم نفسه لم يحسن بدينار ولا بدرهم ، أو يقال إن آخر لص معروف فلا يضير أن يتهم بسرقة رجل بعينه وهو لم يسرق منه بل سرق من رجال آخرين

* * *

وعلى هذا القياس نرجع إلى اختلاف وجهة النظر بيننا وبين الأستاذ الفاضل في موضوع الملاحظات التي أبداها ، فلا نرى أننا تجاوزنا القدر اللازم من الترجيح ، أو أننا قررنا شيئاً يحتاج تقريره إلى برهان أقوى من البرهان الذي اعتمدنا عليه

فأما نهج البلاغة فقد تشككنا في نسبة بعضه إلى الإمام كما تشكك غيرنا من قبلنا ، ودعانا إلى الشك في بعض عباراته كما قلنا في عبقرية الإمام « ... غلبة الصيغة الفلسفية عليها وامتزاجها بالآراء والمصطلحات التي اقتبست بعد ذلك من ترجمة الكتب الإغريقية والأعجمية ، ولا سيما الكلام على الأضداد والطبائع والعدم والحدود والصفات والموصوفات »

. ولكن لا يدخل في هذا ما جاء في نهج البلاغة من الكلام على الطاووس والخفاش وما إليه ، لأنه لا يشتمل على شيء يستغرب صدوره من الإمام علي أو يستغرب صدوره من العصر الذي عاش فيه

لأن الإمام علياً عربي أصيل ، والعرب مشهورون بوصف الأحياء الآبدة والأنيسة التي رأوها ، ولهم في الخيل والإبل وبقر الوحش والظباء والكلاب و طير أوصاف لا يدق عنها دقيق من خلائق تلك الأحياء

ولأن الإمام علياً مسلم فقيه دارس للقرآن ، والمسلمون مأمورون بالنظر في خلق الله ، ولا سيما الفقيه الدارس المطيل للدراسة

ولأن الإمام علياً عرف بالنزعة الصوفية التي جعلت كثيراً من علماء الكلام ورجال الطريق ينسبون أنفسهم إليه

ولأن العبارات التي وصف بها الخفاش والطاووس في نهج البلاغة لا تنافر بينها وبين عبارات الإمام أو عبارات عصره

فترجيح نسبتها إليه لا ضير فيه

وإذا بطلت نسبتها إليه بطلاناً جازماً — وهي لم تبطل قط — فالحقيقة المعهودة المعقولة باقية كما كانت قبل نسبتها إليه ، وهي أنه كان ينظر في خلق الله وينزع في تأمله نزعة المتصوفين

* * *

أما حديث سوءة عمرو ، فقد رواه ابن قتيبة في عيون الأخبار وابن عبد ربه في العقد الفريد ، ورواه الذين ذكرهم الأستاذ الفاضل بصيغة التمريض

فإبطال هذه الروايات إنما يقوم على تنافر بين العمل وبين طبيعة عمرو بن العاص أو طبيعة علي بن أبي طالب

ولا تنافر بين العمل وبين طبيعة الرجلين

فعمرو بن العاص في عنفوان شبابه سمع رجلاً يطلب قبلة من امرأته فحقد عليه وأضمر الكيد له ، ولكنه لم يمنعها أن تقبله بل أمرها بذلك قائلاً : « قبلي ابن عمك » ثم انتقم منه بعد أن خرج من المأزق الذي كان فيه

فليس بمستغرب من معهوده ومعقوله أن يخرج من مأزق الموت في وقعة صفين بمثل تلك الحيلة ، وقد بلغ الشيخوخة التي تهدأ فيها عرامة النفوس

وليس بمستغرب كذلك من الإمام أن يعرض عنه ، لأنه كان لا يتبع مولياً ولا ينظر إلى عورة ، وكان ينهى جنده أن يتبعوا المولين ويهتكوا العورات

وليس بناقض لهذه الروايات أن الطبري لم يحفل بها ولم يثبتها ، لأن الطبري في تاريخ عمرو بن العاص خاصة يخل أيما

إخلال . وقد نبه إلى هذه الحقيقة كتاب بطلر الذى طبعته لجنة التأليف والترجمة والنشر فقال بحق : « ... ولكن من أكبر ما يدعو للأسف أن كتابه ناقص نقصاً عظيماً فى أخبار فتح مصر ، فإن روايته فى ذلك قليلة قلة شديدة ، وزيادة على قلتها قد دخلها خلط كبير فى كل ما يتعلق بوصف البلدان وتواريخ الحوادث وذلك يدعو إلى كثير من التضليل »

فليس الطبرى بالمرجع الوافى المقنع فى تاريخ عمرو وما ينسب إليه ، لأنه قليل الاحتفال بمعظم تفصيلات هذا التاريخ

ونعود إلى قاعدتنا فى قياس الترجيح فنسأل : ترى لو لم يثبت حديث الرواة فى هذه المسألة فاذا يبطل من صفاتنا للامام ؟

إننا جئنا بها مع غيرها للدلالة على نخوة الإمام

ونخوة الإمام صفة ثابتة له على كل فرض من الفروض التى تحوم حول هذه الرواية

فهى إذن شىء لا يجزم بنفيه

وهى إذا جزم بنفيها لا تغير الحقيقة النفسية التى أثبتناها للامام أقل تغيير

* * *

وقد عرضنا نحن لرواية من قال إن الإمام علياً وضع أساس علم النحو فقلنا : « ... وتواتر أن أبا الأسود الدؤلى شكا إليه شيوع اللحن على ألسنة العرب فقال له : اكتب ما أملى عليك ، ثم أملاه أصولاً منها أن كلام العرب يتركب من اسم وفعل وحرف ... إلى آخر ما جاء فى تلك الرواية

وإلى هنا نحن نقرر الواقعة التاريخية ولا نزيد عليها ، لأن المتواتر فى كتب العرب هو هذا بلا مراء

ثم نعقب فى عبقرية الإمام فنقول : « وهذه رواية تخالفها روايات شتى تستند إلى المقابلة بين اللغات الأخرى فى اشتقاق أصولها النحوية ولا سيما السريانية واليونانية »

إلى أن تقول : « ولا يمتنع عقلاً أن يكون الإمام أول من استنبط الأصول الأولى لعلم النحو العربى من مذاكرة العلماء بهذه الأصول بين أبناء الأمم التى كانت تنشى الكوفة وحواضر العراق والشام ، وهم هنالك غير قليل ، ولا سيما السريان الذين سبقوا إلى تدوين نحوهم وفيه مشابهة كبيرة لنحو اللغة العربية »

وفى اعتقادنا أن الحد الذى وقفنا عنده هو الحد المأمون فى الشك والترجيح ، وليس لنا أن نقول غير ما قلنا بغير دليل قاطع من الأسانيد الصحيحة

أما إذا اعتمدنا على المقاربة الترجيحية فالسريان أقرب إلى اللغة العربية وإلى الكوفة من اليونان ، ومذاكرة الإمام لعلمائهم أقرب من مذاكرته لعلماء اليونان . ومن شاء بعد ذلك أن ينفى الروايات المتواترة نفياً قاطعاً فعليه الدليل

* * *

هذه أمثلة لمقياس الترجيح والتشكيك عندنا فى مختلف الروايات ، وهو على ما نعتقد القياس الوحيد المأمون ؛ لأن الرواية التى نشك فيها لا تبطل شيئاً من الآراء التى تقررها سواء مضينا بالشك إلى التأييد أو إلى التفنيد . وليس لنا أن نتجاوز الشك إلى الجزم بغير برهان وثيق وسند لا مطعن فيه

* * *

وبعد فإننا نوافق الأستاذ الزميل على أننا قد اتخذنا موقف المحامى عن الإمام فى كتابنا عن عبقريته ، وأن جو الكتابة هو الذى قضى علينا باتخاذ هذا الموقف ، لأن النزاع حول على يوجب التعرض لوجوه هذا النزاع ، كما يوجب إنصافه مما قيل فيه

ولكننا لا نوافقه على أن الدفاع يمنع « رسم الشخصية » على الوجه الأمثل ، لأن تصحيح الأقوال التى يوصف بها رجل من الرجال هو المقدمة الأولى لتصحيح صفاته والتعريف بحقيقة شخصه ، وليس من اللازم أن يكون حكم القضاء مخالفاً لبرهان الدفاع . بل كثيراً مايعتمد عليه وينقله بنصه ويبطل كل ماعداه

وإن من الحق علينا لزميلنا الكبير أن نشكر له ملاحظاته القيمة ، لأن اللاحظات التى تصدر عن وجهة نظر هى جلاء لوجهة نظرين بل لوجهات أنظار ، ومنها الفائدة التى يبتغيها النقاد والقراء والمؤلفون .

عباس محمود العقاد

حكمت محكمة مصر بجلسة ٤ — ٦ — ٩٤٠ بتغريم حامد عبد ربه بقال بروض الفرج ١٥٠ قرشاً ونشر الحكم بمجلة الرسالة لبيعه كبريتا بأزيد من السعر المحدد .

مسابقة الأدب العربي

البهـــاء زهـــير

للدكتور زكي مبارك

تمهيد

ينص منشور وزارة المعارف على أن المتسابقين يُمتحنون تحريريًا في الكتب الآتية :

١ – ديوان البهاء زهير وديوان علم الدين الحيوى

٢ – كتاب أخبار أبي تمام للصولى

ومعنى هذا أن الديوانين الأولين جُعِلا في حكم الكتاب الواحد، لأنهما لشاعرين عاشا في عصر واحد وفي بيئة واحدة ، ولأنهما يقتربان في المنازع الشعرية بعض الاقتراب ، وسنعرف هذه الشئون حين توازن بينهما في الأحاديث المقبلات

حياة البهاء زهير

للأستاذ مصطفى باشا عبد الرازق بحثٌ جيِّد عن « البهاء زهير » ، وفي ذلك البحث كلامٌ مفصَّل عن حياة الشاعر ، فمن الواجب أن يرجع الطلبة إليه ، وهو يوجد في مكتبات المدارس الأميرية . وإنما أشير بالرجوع إلى هذا البحث ، لأنه أوفى ما كُتب في ترجمة البهاء زهير ، ولأن الاطلاع عليه يقدم إلى الطلبة فوائد أدبية وتاريخية لا يظفرون بمثلها إلا بعد عناء

ومن طريف الحوادث أن وزارة المعارف كانت رأت توزيع هذا البحث على تلاميذ المدارس الثانوية ، ولكنَّ ناساً من أهل الأسكندرية ثاروا وطالبوا بسحبه من مدارس البنات ، بسبب قطعة وردت فيه ، وهي أبيات من شعر البهاء تُشبه ما يسمونه الأدب المكشوف ، مع أنها لا تستوجب العنت في اللجاج ، ومع أنها في كتاب عُرف مؤلفه بالحرص على مراعاة الذوق في الكتابة والحديث

رأى الدكتور طه حسين

حين أظهر الشيخ مصطفى بحثه عن البهاء تفضَّل وأهداني نسخة ، فحدثت الدكتور طه في تلك الهدية فقال : لقد أتعب الشيخ مصطفى نفسه في غير طائل ، لأن البهاء زهير لايستحق هذا المجهود ، ولن يكون من أعلام الشعر بأي حال ، فمن الظلم أن نحلَّه ذلك المكان

قلت : ولكن البهاء زهير تفرَّد بالرقة في التعبير ، وتلك ظاهرة أدبية تستحق الالتفات

فقال الدكتور طه : الشعر العربي مظلوم من هذه الناحية ، فالوعورة لا تغلب إلا على الشعر الجاهلي والشعر الأموي ، ثم غلبت السهولة بعد ذلك على أكثر الشعراء

القول الفصل

هو القول الذي نطق به التاريخ الأدبي ، فقد ثبت أن ديوان البهاء زهير ظفر بقبول لم يظفر به ديوان ، فقد طُبع عشرات المرات في مصر وفي غير مصر ، وتُرجم شعراً إلى اللغة الإنجليزية منذ زمان ، وقال مترجمه إنه قريب الروح من شعراء الإنجليز في القرن السابع عشر ، ومعنى ذلك أنه انتقل من الصبغة المحلية إلى الصبغة الدولية ، وهذا مغنمٌ ليس بالقليل

والواقع أن في شعر البهاء نفحة عطرية لا نجدها عند أكثر الشعراء ، فقد كان مرهف الإحساس إلى أبعد الحدود ، وكانت قدرته على التعبير قدرةً عالية ، لأنه استطاع أن يعبر عن جلائل المعاني بعبارات هي غاية في اللطف والإيناس

مشكلة المشكلات

هي مشكلة التعبير ، ويعزّ عليّ أن أقرر أن هذه المشكلة سيطرت على تاريخ الأدب العربي ، ولم تظفر إلى اليوم بما تستحق من الحلول

ومرجع هذه المشكلة إلى اعتبار الجزالة أساس البلاغة في لغة العرب ، فالكلام الجزل هو الكلام البليغ ، الكلام الجدير بالانتساب إلى العرب الفُصحاء

أما الكلام الرقيق فهو من أفانين المولدين ، لأن الحضارة

هي التي أوحت بالرقة واللطف ، ولهذا استباح الدكتور طه أن يرتاب في كل شعر رقيق ينسب إلى العصر الجاهلي ، كما تشهد نصوص كتابه الذي أثار الناس قبل سنين

وأقول بأن الدكتور طه لم يفطن إلى مقامات الكلام عند شعراء الجاهلية ، وهي مقامات لا تعترف بوحدة الأسلوب ، وإنما تلوّن الأساليب وفقاً لما توحى به شجون الأحاديث ، فترى الجزالة هنا وترى الرقة هناك

وفي القرآن شواهد على صحة هذا القول ، فهو يُؤْثر الرقة في مقام الوعد ، ويؤثر الجزالة في مقام الوعيد ، ونثرُ القرآن نثرٌ جاهليٌ ، كما بينت ذلك في كتاب « النثر الفني » ، لأنه نزل على العرب وهم جاهليون لا إسلاميون

لحظة مع الشيخ مصطفى عبد الرازق

هي لحظة قصيرة أتعالم فيها عليه ، لأزعم أني أعرف من أسرار البلاغة أكثر مما يعرف ، وهيهات ثم هيهات !

هذا الشيخ صورة من أدب النفس ، والتحامل عليه لا يليق ، لأنه يرحب بهجومي عليه ، ويسرّه أن أساجله في أي ميدان ، وأنا سأشرح صدره فأقدم إليه فائدة بلاغية لم تخطر في باله عند تأليف الكتاب

لقد نصّ في كتابه على أن الرقة في شعر البهاء زهير هي الطبع ، وأن الجزالة هي التطبّع ، وأن البهاء لم يُؤْثر الجزالة إلا في الظروف التي يحاول فيها منافسة خصومه من أعيان الشعراء

وأقول بأن الجزالة في شعر البهاء قضى بها الطبع لا التطبع لأنها من وحي المقام لا من وحي التكلف ، وإلا فما الذي يريد الشيخ مصطفى أن يقول البهاء وهو يذكر انتصار الملك الكامل ، وإجلاءه الإفرنج عن ثغر دمياط ؟

هل كان ينتظر أن يصطنع لغته في الغَزَل ، اللغة التي يرقّ بها فيقول :

سلّمْ عليّ إذا مرر ... تَ فلا أقلّ من السلامِ
الغدر في كل الطبا ... ع فلا أخصّك بالملام
ما أكثر العذّال في ... ولهي عليك وفي غرامي
هَبْني كتمتهمُ هوا ... كَ فكيف أكتمهم سقامي

هذه لغة في رقة الخد الأسيل ، وهي هنا مقبولة لأنها أشبه بمناغاة الحبيب المحبوب ، ولكنها لا تصلح للتعبير عن اصطخاب القلوب عند انتزاع ثغر دمياط من أوشاب المغيرين

أمِن التكلف أن يقول البهاء في مدح الملك الكامل :

بك اهتز عِطف الدّين في حُلَل النصر ... ورُدّت على أعقابها مِلّة الكفرِ
وليلةِ غزوٍ للعدو كأنها ... بكثرة من أرديته ليلة النحر
فياليلة قد شرّف الله قدرها ... ولا غروَ إن سميتها ليلة القدر
سدَدْتَ سبيل البر والبحر عنهمُ ... بسابحةٍ دُهْمٍ وسابحةٍ غُرٍّ
أساطيل ليست في أساطير من مضى ... بكل غرابٍ راح أفتك من صقر
وجيش كمثل الليل هولاً وهيبةً ... وإن زانه ما فيه من أنجم زُهْرِ
وكل جوادٍ لم يكن قطّ مثله ... لآل زهير ، لا ، ولا لبني بدر
وباتت جنود الله فوق ضوامرٍ ... بأوضاحها تُغني السُّراة عن الفجر
كفى الله دِمياط المكاره إنها ... لَمِن قبلة الإسلام في موضع النحر
وما طاب ماء النيل إلا لأنه ... يحلّ محل الريق من ذلك الثغر

فهذا الشعر يراه مصطفى باشا مجاراةً للقدماء ، لغلبة الجزالة عليه . ولكن الواقع أن الجزالة هنا ضرورية ، لأن المقام لا يسمح بالرقيق

وعند مراجعة القصائد الموسومة بالجزالة نرى مقامات الكلام هي التي فرضت على الشاعر أن يختار الجزل ، وهذا من دقائق الصناعة الشعرية ، فلا موجب للحكم بأنه يخرج على الطبع ليساير القدماء

ولنذكر مثالاً ثانياً من الجزل هو قوله في مدح الملك الصالح نجم الدين أيوب :

ولقد سميت إلى العلاء بهمة ... تقضي لسعيي أنه لا يُخفق
وسريتُ في ليلٍ كأنّ نجومه ... من فرط غيرتها إليَّ تحدّق

متى وصلتُ سرادق الملك الذى
تقف الملوك ببـابه تسترزق

فإليك يا نجم السماء فإننى ... قد لاح نجم الدين لى يتألق
الصالح الملك الذى لزمانه ... حُسنٌ يتيه به الزمان ورونق
ملأ القلوب مخافةً ومحبةً ... فالبأس يُرهَب والمكارم تعشق
فعدلت حتى ما بها متظلّمٌ ... وأنلت حتى ما بها مسترزقُ
يا من رفضتُ الناس حين لقيته ... حتى ظننت بأنهم لم يُخلقوا
قيدتُ فى مصرٍ إليك ركائبى ... غيرى يغرّب تارةً ويشرّق
وحللت عندك إذ حللت بمعقلٍ ... يُلقى إليـه ماردٌ والأبلق
وتيقّنَ الأقوام أنىَ بعدها ... أبداً إلى رُتب العلا لا أسبق
فرُزقت ما لم يُرزقوا ، ونطقت ما
لم ينطقوا ، ولحقت ما لم يلحقوا

فما عيبُ هـذا المديح حتى يقال إنه دون سائر فنون البهاء فى الطرافة والإبداع ؟

وأحب أن أذكر مثالاً ثالثاً يؤكد ما قصدت إليه من أن الجزالة فى شعر البهاء طبعٌ لا تطبُّع ، لأن المقام يوجبها كل الإيجاب .

قال فى مدح الملك الناصر يوسف :

ومذ كنت لم ترضَ النقيصةَ شيمتى
ومثلك يأباها لمثلى ويأنف

ولا أبتغى إلا إقامة حرمتى ... ولست بشىء غيرها أتأسف
ونفسى بحمد الله نفسٌ أبيةٌ ... فما هى لا تهفو ولا تتلهف
ولـكنّ أطفالاً صغاراً ونسوةً ... ولا أحدٌ غيرى بهم يتلطف
أغار إذا هبّ النسيمُ عليهمُ ... وقلبى لهم من رحمة يترجّفُ
سرورىَ أن يبدو عليهم تنعّمٌ ... وحزنىَ أن يبدو عليهم تقشف
ذخرتُ لهم لطف الإله ويوسفاً ... ووالله لا ضاعوا ويوسف يوسف
أكلّف شعرى حين أشكو مشقةً
كأنىَ أدعوه لمـا ليس يُؤلَف

وقد كان معتاداً لـكل تغزّلٍ ... تهيم به الألبابُ حسنا وتُشغف
يلوح عليـه فى التغزل رونقٌ ... ويظهر فى الشكوى عليه تكلف
وما زال شعرى فيه للروح راحةٌ
وللقلب مَسـلاةٌ وللهمّ مصرف

يناغيك فيه الظبى والظّبى أحـورٌ
ويُلهيك فيه الغصن والغصن أهيف

شكوت وما الشكوى إليك مذلةٌ
وإن كنت منهـا دائماً أتأنف

هذا أيضاً شعرٌ جزل ، وهو مع ذلك برىء من التكلف ، وإن زعم الشاعر أنه تكلف !

وهل كان يمكن فى مثل هذا المقام أن يرقّ على نحو ما يتفق له فى شكوى الصدود ؟

لـكل مقام مقال ، وقد كان البهاء من أعرف الناس بمقامات الـكلام .

ولـكن ما هى ذاتية البهاء ؟ وما حياته فى مصر والحجاز ؟ وما مركزه بين معاصريه ؟ وما وزنه الصحيح فى تاريخ الشعر العربى ؟

سنحاول الإجابة عن هذه الأسئلة فى الحديث المقبل . والله بالتوفيق كفيل

زكى مبارك



٥ ـ الدكتور طه حسين
والشعر المرسل

اكتشاف عجيب في كتابه الأخير على هامش السيرة (الجزء الثالث)

للأستاذ دريني خشبة

مصادفة عجيبة ...

مصادفة وقعت عليها وأنا أقرأ الجزء الثالث من كتاب «على هامش السيرة» للدكتور طه حسين ...

وقبل أن أسوق للقراء خبر هذه المصادفة أقرر أنني كنت أقرأ طه حسين هذه المرة «بنية سيئة !» ... نية سيئة جداً ... بل هي أسوأ النيات جميعاً ، وليؤول صديق الفاضل « ... » هذا الكلام على الوجه الذي يرضيه ، فنحن في غنى عن أن نقاسمه أن كلامه الذي كتبه عنا بصدد شهرزاد لم يكن السبب في نقدنا للمستشار الفني ، وصاحب كتاب « مستقبل الثقافة في مصر » حين أخذنا عليه عدم اهتمامه بإحياء الترجمة في مصر ، أو بتنشيطها على الوجه الأكمل الذي تقتضيه نهضتنا ، برغم ما أثبته في كتابه الذي ذكرنا من أن كل نهضة فكرية أو أدبية تحاول إيجادها في مصر خاصة ، وفي الشرق العربي عامة ، إنما ينبغي أن تقوم قبل كل شيء على الترجمة ... لما كتبنا ذلك لم يهتم الدكتور ولم يلق باله ... ومع أن اللهجة التي كتبنا بها كانت مما يحتمل أن يؤاخذ عليها كاتبها في ظروفه الخاصة التي تشبه ظروفنا ، فإن الدكتور أغضى ولم يحفل بشيء ، وإن يكن قد شرع بعد إدارة الترجمة بوزارة المعارف بالأذكياء المقتدرين الأكفاء . وقد خيل إلينا أن الدكتور لم يقرأ ما كتبناه ، فهيأ لنا غرورنا (والعياذ بالله !) أن عدم القراءة أوجع لنا من القراءة مع الإغضاء ...

لهذا ، أو لبعضه ، قلت إنني كنت أقرأ الجزء الثالث من هامش السيرة بنية سيئة جداً ... نية الناقد الذي تأثر بطريقة النقد الحديثة في مصر ... النقد الذي يتسقط الهفوات ، ويعد الغلطات ، ويحصي الهنات ... النقد الذي لا يملك أعصابه ، بل يرسلها فيما ينقد إرسالاً ...

ومضيت في القراءة ...

فهذه عشرون صفحة ليس فيها شيء ! أقصد أن ليس فيها هفوات ولا غلطات ، ولا هنات هينات ! وإن كان كل ما كتب فيها كان حسبه من هذه الصفحات العشرين عشر صفحات أو خمس عشرة صفحة ...

لا ... ليس هذا عيباً ... لأنك إن عددته عيباً فستضحك منك قراؤك ... ابحث عن شيء آخر ... فالأسلوب جميل خلاب ، والقصص مسترسل رائع ، وحسب هذه الصفحات العشرين أو الثلاثين ما فيها من ذاك جميعه ، فذاك جميعه هو الأدب ... والأدب القصصي بنوع خاص

ما هذا ؟ الدكتور طه حسين يُنطق ناساً من عرب الجاهلية بما هو من القرآن ، أو ما يقرب أن يكون من القرآن ، ولما ينزل القرآن بعد ؟ ! ما هذا الذي يقوله نسطاس لورقة بن نوفل : وظل الصبي يتيما عائلا ضالا ... أليس في هذا الكلام (رائحة !) من القرآن في سورة الضحى ؟ ... ومثل هذا شائع في الفصول التي تسبق مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ... وعلى ذكر (صلى الله عليه وسلم) هذه — لماذا آثر الدكتور أن يختصرها هذا الاختصار الذي يذهب بجمالها ... (تلك الكلمة حلوة الجرى على اللسان ، حسنة الموقع في القلب ، خالدة في الدهر ما بقي الدهر) ! لماذا يختصرها الدكتور هذا الاختصار صلعم ؟ لماذا لا يقولها كما يجب أن تقال عظيمة كريمة رخيمة ! كما قالها بعد ذلك مرتين أو نحوها

لا . لا ... ولا هذه أيضاً ... إنما يجب أن تترك فصل نسطاس وورقة فلا تعيبه بشيء ، لأنه من أروع فصول هذا الجزء الثالث ، وإن يكن أروع منه هذا الفصل الذي انعقدت فيه أواصر الصداقة بين عمرو بن هشام — أو أبو جهل كما سوف يذكر لك — وبين أبو مرة ، أو زعيم الأبالسة ... وتقول أبو جهل وأبو مرة في موضع الجر عامدين كما تعمدها المؤلف ، وندع التأويل لكل قارىء لبيب ...

بل قل إن أردت أن تنقد الهامش بشيء إن انتقال الدكتور من الرواية إلى التاريخ ، ومن القصص الشائق إلى التحقيق العلمي بعد الصفحة الثانية والثمانين هو عمل لا يتفق وما أعلنه وأذاع به من أنه لم يكتب كتابه للمؤرخين . وقل إن الدكتور

هيكل قد ذهب بالتحقيق العلمي كما ذهب الدكتور طه بإحياء السيرة وتجديدها ، فما باله يحاول أن يكتب للعلماء الذين لا يصدقون مطلقاً ، أن ساق حمزة رضى الله عنه قطرت دماً حينما مسّها الفأس خطأ بعد دفنه بسنين عددا ... ؟ ثم هـذا الحديث الحلو عن زيد بن حارثة الذى يحيك فى الصدر منه شىء غير قليل ...

ولـكن لا ... فالدكتور لا يكتب للعلماء ولا للتحقيق العلمى ولـكنه يقص علينا أحسن القصص وأبرعه وأروعه

إذن ... فقل إن بالهامش أحاديث مكررة ... إذ يحدثنا الدكتور عن سيد الشهداء حمزة عم النبى حديثاً حـلواً طويلاً (ص ١١١) ، ثم يعود فيحدثنا عنه حديثاً طويلا كذلك ، بعبارات هى نفسها عباراته الأولى تقريباً فى فصـله عن (نزيل حمص) ص ١٧٩ . وهكذا فعل فى غير موضع من هذا الهامش . ولـكن كيف تنكر أن هـذه حسنة وليست سيئة ؟ فالحديث الأول كان أكثره عن حمزة ، أما الثانى فأكثره عن وحشى . ومع هذا فالحديث عن الرسول وعن أصحابه هو أعذب ما يتحدث به مسلم لمسلم ، ولن يضر الدكتور شيئاً ، ولن ينقص من كتابه شيئاً كذلك أن تفيض أعداد « الرسالة » الممتازة بمعظم أنباء ما تحدث إلينا به . إذ حسبنا أننا نقرأها اليوم بقلم طه حسين مبتكر هذا الأدب الدينى القصصى فى مصر ... الرجل الذى برهن بكتابه هذا على أن تصريفه لأمور وزارة المعارف لم يصرفه عن رسالته الأولى التى هى الإنتاج الأدبى القيم ، كما وهم من وهم . وحسبه أن يخرج فى أقل من سنة كتابين من هذا النسق القصصى الممتاز وأرجو أن يخرج الثالث قبل أن يتصرم العام ، وهذا الثالث — إن لاق أن نذيع سراً ائتمننا عليه طه حسين — هو (أضياف شهرزاد) ، الذى أوشك أن يفرغ منه ، أو هو قد فرغ منه بالفعل ...

ولـكن الـكتاب كله يوشك أن ينتهى دون أن نذكر لنا علاقة هامش السيرة بالشعر المرسل ... فأقول ... سوف أذكر لك تلك العلاقة بعد أن تتدبر معى هذه الأرقام ، وهى التى يتألف منها معظم فهرس الـكتاب :

(١١١ — ١٢٥ — ١٣٩ ، ثم ١٥١ — ١٦٥ — ١٧٩ — ١٩٣ — ٢٠٧ — ٢٢١ — ٢٣٥ ؟؟)

فإذا قلت وما علاقة هذا بذاك ، قلت لك : اطرح أى رقم سابق من أى رقم لاحق من هذه الأرقام ، فإنك تحصل على الرقم (١٤ ؟) فما معنى هذا ؟ أليس يعنى أن الدكتور طه يؤلف وفى يده (ترمومتر ؟) وإلا فما معنى أن يستغرق كل فصل من فصول كتابه أربع عشرة صفحة بالتمام والـكمال لا يزيد عليها ولا ينقص منها ؟ ! أليس هذا تأليفاً ميكانيكياً ؟ فإن قلت إن هذا ليس من النقد فى شىء ... بل إن هذا هو العبث ، وإنك جعلت عنوان مقالك (الدكتور طه حسين والشعر المرسل) وأنت إلى الآن لم تذكر لنا من أمر الدكتور طه حسين والشعر المرسل شيئاً ... قلت لك ... إن هذا هو أسلوب النقد فى مصر اليوم ، ولن أذكر لك شيئاً من أمر الشعر المرسل فى هامش السيرة حتى تقرأ تلك القطعة الشائقة التى أختارها لك لترى رأيك فيها ، ولتعترف معى بأن الدكتور طه حسين هو كاتب من أرق كتابنا وأسلسهم ، وأقوامهم بياناً : إقرأ إذن :

« أقبلت تسعى رويداً رويداً مثل ما يسعى النسيم العليل ، لا يمس الأرض وقع خطاها ، فهى كالروح سرى فى الفضاء ، نشر الليل عليها جناحاً فهى سر فى ضمير الظلام ، وهبت للروض بعض شذاها فجزاها بثناء جميل ، ومضى ينشر منه عبيراً مستثيراً كامنات الشجون ، فإذا الجدول نشوان يبدى من هواه ما طواه الزمان ، ردت الذكرى عليه أساه ودعا الشوق إليه الحنين ، فهو طوراً شاحب قد براه من قديم الوجد مثل الهزال ، صحب الأيام يشكو إليها بثه لو أسمدته الشكاة ، وهو طوراً صاخب قد عراه من طريف الحب مثل الجنون ، جاش حتى أضحك الأرض منه عن رياض بهجة للعيون ، ونفوس العاشقين كرات يعبث اليأس بها والرجاء ، كحياة الدهر تأتى عليها ظلمة الليل وضوء النهار . »

هذا يا أخى هو ما أردت أن ألفتك إليه من بيان الدكتور طه ، الذى ربما تـكون قد سمعت عنه أنه ينظم الشعر ، ولـكنك لم تقرأ له شعراً قط ... ومن يدرى ... فربما تـكون قد قرأت له شعراً فى غير كتاب من كتبه ، ولـكنك مررت به وأنت لا تدرى أنه شعر ، كما كنت عسيت أن تقرأ — على هامش السيرة — كله ، من غير أن تتنبه إلى أنك قد قرأت فيها شعراً ... وشعراً مرسلاً ... هو هذا الشعر الذى نقلناه لك هنا ... والذى كان السبب فى هذه المقدمة التى لم يكن لها (داعى !) كما تقول فى كلامنا الدارج ...

حقيقة لم يكن لمقدمتنا الطويلة التى سقناها (داعى !)

مطلقاً ... فنحن كما يعرف القراء جميعاً من تلاميذ الدكتور المعجبين به ، الأوفياء له ... وليس حقاً أننا كنا نقرأ على هامش السيرة بسوء نية ... وليس حقاً أن الدكتور يغضب من أحد إذا نقده في حدود النقد المقبول ، فلا يعمد إلى الهنات الهينات فيجعل من (حبّتها قبّة) أو من نمالها جمالاً ... ولا يقول كما تندّرنا مثلاً ... إطرح أى عدد سابق من أى عدد لاحق من هذه الأرقام ، فإنك تحصل على الرقم ١٤ فى كل الحالات ! فما بال الدكتور طه يكتب عشرة فصول ، فلا يزيد فى أحدها ولا ينقص عن أربع عشرة صفحة ؟ أليس يؤلف الدكتور طه وفى يده ترمومتر ؟ !

ليس حقاً إذن أن أى شىء من ذلك كان ... ولكننا تعمدنا أن نمط فى هذه المقدمة مطاً ، وأن ندس على القارئ هذا النموذج الذى اخترناه له اختياراً جاء عن طريق المصادفة ولم يأت عن طريق العمد ... أردنا أن ندس هذا النموذج من بيان الدكتور المشرق ، وأسلوبه المبين ، وعبارته الشائقة ... فلا يتنبه القارئ إلى أننا إنما وضعنا بين يديه شعراً ... وشعراً مرسلاً ... مما قال عنه شاعرنا الكبير الذى نحبه ونجله ونمجده – الأستاذ العقاد – إنه ينبو فى الأذن ولا يخف على السمع ...

وقد لا يكون القارئ شاعراً فيعرف كيف يكون شعراً هذا الكلام الذى نقلناه من هامش السيرة (جـ ٣ ص ١٢٧) ولهذا فلا بأس من أن نعيد له هذا الكلام نفسه فى نظامه الشعرى الذى تعوده الناس :

أقبلت تسعى رويداً رويداً
مثل ما يسعى النسيم العليلْ
لا يمس الأرض وقعُ خطاها
فهى كالروح سرى فى الفضاء
نشر الليل عليها جناحا
فهى سر فى ضمير الظلامْ
وَهبتْ للروض بعض شذاها
فجزاها(١) بثناء جميلْ
ومضى ينشر فيه عبيراً
مستثيراً كامنات الشجونْ
فإذا الجدول نشوان يُبدى
من هواه ما طواه الزمانْ
ردّت الذكرى عليه أساه
ودعا الشوق إليه الحنينْ
فهو طوراً شاحب قد براه
من قديم الوجد مثل الهزالْ
سحب الأيام يشكو إليها
بثه لو أسعدته الشكاه
وهو طوراً صاخب قد عراه
من طريف الحب مثل الجنونْ
جاش حتى أضحك الأرض منه
عن رياض بهجةً للعيون
ونفوس العاشقين كراتٌ
يعبث اليأس بها والرجاء
كحياة الدهر تأتى عليها
ظلمة الليل وضوء النهارْ ! (١)

فهذا إذن هو نظم الدكتور طه حسين من الشعر المرسل الذى أورده فى آخر كتبه – على هامش السيرة – الجزء الثالث – الصادر فى أول نوفمبر سنة ١٩٤٣ ، أى فى الوقت الذى كنا نحسب ألف حساب ونحن ننشر فصولنا داعين شعراءنا لإجراء تجاربهم فى هذا الشعر عسى أن يوفق أحدهم أو أكثر من واحد منهم إلى أسلوب رائع يخلو من العيوب التى يأخذها عليه النقاد المحترمون

ونحن لا يسعنا إلا أن نبدى أكبر إعجابنا بهذا المجهود المشترك الذى ساهم به زعيم النهضة الأدبية فى مصر ، وعميد الأدب العربى ، فى الثورة على القديم الذى ندعو إلى الثورة عليه وإن كنا نهتف بجميع شعرائنا أن فى وسعهم أن يعطونا شعراً مرسلاً أجود بكثير جداً مما عرضنا عليهم من شعر الأستاذ أبى حديد ومن هذا الشعر الذى نقدمه إليهم اليوم فخورين من شعر الدكتور طه حسين

(١) فى الأصل فجازاها ونحسبها سهواً لأنها تكسر الوزن .

(١) من المديد ووزنه فاعلاتن فاعلن فاعلاتن

أوزان الشعر

الشـــعر العربى

للدكتور محمد مندور

(تتمـــة)

الواقع أن الارتكاز فى اللغة العربية موضوع شاق لا يزال فى حاجة إلى البحث ، ونحن لا نظن أن المستشرقين يستطيعون بحثه ، لأن معرفتهم باللغة مهما اتسعت لا يمكن أن تصل إلى الإحساس بمسائل موسيقية لغوية دقيقة كهذه . فهل مستطيعون نحن ذلك ؟

ليسمح لى القارىء بأن أقول إننى قد حاولت حل هـذا الإشكال فى بحث طويل كتبته باللغة الفرنسية بعد دراسة وتحليل لثلاثة أبحر من الشعر العربى بمعمل الأصـوات بباريس ، وهى الطويل والبسيط والوافر(١) .

ولنأخذ مثلاً من هذه الدراسة بيت امرىء القيس :

وليل كموج البحر أرخى سدوله   على بأنواع الهمـــوم ليبتلى

فهو يوزن على مذهب أوالد كما يأتى ، (مع رمزنا للمقطع القصير بالعلامة ب والطويل بالعلامة —) :

ب — — | ب — — — | ب — — | ب — ب —

ب — ب ب — — — | ب — ب | ب — ب —

ولـكن هذا الوزن لا يبصرنا بالحقيقتين الكبيرتين اللتين يقوم عليهما الشعر فى كافة اللغات ، وهما : الـكم والإيقاع .

الـكم mesure

نقصد بالـكم لا كم كل مقطع منفردا ، فذلك ما سبق أن أوضحناه ، بل كم التفاعيل ، فنحن هنا أمام تفاعيل متجاوبة (التفعيل الأول يساوى الثالث والثانى يساوى الرابع) ، ولـكننا مع ذلك نسلم بجواز زحافات وعلل ، فـكيف يستقيم الـكم برغم هـذه الزحافات والعلل التى تنقص من التفعيل فى الغالب .

هذه المشكلة حيرت المستشرقين ، ولقد حاول العالم الفرنسى الثبت جويار Guyard أن يحلها فى كتاب له بعنوان : Nouvelle theorie de la metrique arabe ، وفيـه يطبق مواضعات الموسيقى وأصولها على الشعر العربى ، ولـكنه لا يدخل فى حسابه غير الحروف الصائتة كما يفعلون فى الموسيقى ، فيعطى تلك الحروف المختلفة قيما متفاوتة من نقطة بيضاء إلى نقطة سوداء إلى كروش إلى كروش مزدوج ... الخ . ومن البين أنه قد أخطأ لسوء الحظ السبيل بإهماله كم الحروف الصامتة العظيمة الأهمية فى اللغة العربية واللغات السامية عامة كما أشرنا .

(١) هذا البحث لا يزال مخطوطا لأن الحرب حالت دون نشره بأوربا ولا يستطيع نشره غير هيئة علمية لـكثرة السجلات الصوتية والرسومات فيه ، ثم لخصوصية موضوعه .

وبعد ...

فأحسب أن الدكتور طه قد أعلن رأيه الآن بطريقة فعلية فى الشعر المرسل ، وأنه فى جانبنا من قبل أن نبدأ دعوتنا ... ونحن نقول هذا حتى لا يقعد أحد من أصدقائنا الشعراء الذين وعدوا بإجراء تجاربهم فى هذا الشعر ، متأثرين برأى الأستاذ العقاد ، عن القيام بهذه التجارب ، وذلك لـما للأستاذ الـكبير من أثر عميق فى قلوبهم ولأن أكثرهم شعراء من مدرسته

وبقيت ملاحظة ؛ فلقد كتب الدكتور طه شعره كأنه نثر فلم يوزعه شطراً شطراً كما فعلنا ، ولا شك فى أن غرضه من ذلك هو ألا ينبه القارىء إلى أنه يقرأ شـعراً فينفر . خصوصاً إذا علم أنه يقرأ شعراً مرسلاً ...

ولقد كنت ذكرت للقراء فى إحدى مقالاتى ألا يقفوا عند آخر كل شـطر ، بل رجوتهم أن يصلوا القراءة حتى لا يعز عليهم الفقيد العزيز ـ الذى هو القافية ، ويسرني بهذه المناسبة أن أقرر أن الأستاذ أبا حديد كان قد اقترح لى أن يكتب الشعر المرسل بهذه الطريقة التى كتبه بها الدكتور طه ... فهل هو توارد فى الخواطر ؟ أم أن الصديقين العزيزين كانا قد خاضا معاً فى مثل هذا الحديث من قبل ؟!

هذا ولقد قرأنا لأستاذنا الزيات رأيه فى الشعر المرسـل فى السنة الثانية من « الرسالة » العدد (٣٧) ، ولعله يلاحظ أن صديقه طه قد حرص فى نظمه ذلك على كل المقترحات التى أشار بها صديقه الزيات منذ عشر سنوات .

دريني خشبة

والذى اهتدينا إليه بحساب الآلات الدقيقة هو ما يأتى ، مقدرين كم كل تفعيل بأجزاء من مائة من الثانية :

٧٤ | ١٣٢½ | ٧٧½ | ١٢٣   ٧٧ | ١١٥½ | ٨٥½ | ١٣٣

وهذه نتائج غريبة نلاحظ عليها :

١ — أن التفاعيل المزحفة كالتفعيل الخامس والسابع قد ساوى كمها فى النطق كم التفاعيل الصحيحة بل زاد .

٢ — أن هناك فروقا بين التفاعيل المتساوية كالتفعيل الثانى والرابع والسادس والثامن .

وتفسير ذلك هو أولا : أن الفروق التى ظهرت فى حساب الآلات لا تدركها الأذن ، لأنه من الثابت أن الفرق الذى لا يزيد عن ١٦/١٠٠ من الثانية لا تكاد تدركه الأذن ، وإذن فهذه نستطيع إسقاطها .

ثانياً : وأما عن مساواة التفاعيل المزحفة للتفاعيل الصحيحة فهذا يفسر بحقيقة هامة تحدث عند إنشاد الشعر ، وهى عبارة عن عمليات تعويض تقوم بها آلياً . وهذا التعويض يحدث بطرق مختلفة ، منها تطويل حرف صائت بشرط ألا ينتج عن ذلك لبس يأتى من قلب الحرف القصير بطبيعته اللغوية إلى حرف طويل ، ومنها مد النطق فى حرف صامت متماد كالسين أو اللام أو غيرهما ، ومنها الصمت بعد لفظ أو عند حرف آنى كحروف الانفجار مثل الباء والفاء وغيرهما

وإذن فالزحافات والعلل لا تغير شيئا فى كم التفاعيل عند النطق وهى لذلك لا تكسر الوزن

الارتكاز Ictus

الارتكاز عنصر أساسي فى الشعر العربى بل عنصر غالب ، ومن تردده يتولد الإيقاع ، ولهذا بحثنا عنه فى عناية . والذى يبدو لنا هو أن هناك ارتكازاً على المقطع الثانى من التفعيل القصير (فعولن) ، وأما التفعيل الكبير فيقع عليه ارتكازان أحدهما أساسى على المقطع الثانى والآخر ثانوى على المقطع الأخير فى (مفاعيلن) ، وقد رمزنا للارتكاز الأساسى بالعلامة « وللارتكاز الثانوى بالعلامة » . ومن المعلوم أن الارتكاز لا يقع إلا على مقطع طويل ومن ثم نلاحظ أن هذا الوزن لا بد أن يسلم منه دائماً مقطع طويل بعد المقطع الأول القصير ؛ فإذا لم يحدث ذلك انكسر البيت ؛ فالمجموعة (٧ —) الموجودة فى أول كل تفعيل من البحر الطويل هى النواة الموسيقية للبيت وهى عبارة عن وتد مجموع فى لغة الخليل

ومن عودة الارتكاز على هذا المقطع من كل تفعيل يتكون الإيقاع ، لأنه كما قلنا عبارة عن عودة ظاهرة صوتية ما على مسافات زمنية محددة

وإذن فاستقامة الوزن أو عدم استقامته لا يعود إلى الكم الذى تؤثر فيه الزحافات والعلل تأثيراً ظاهرياً فقط إلا إذا نتج عن هذه الزحافات والعلل فقدان للنواة الموسيقية التى تحمل الارتكاز

ولكن هل ينتج عن ذلك أن الشعر العربى شعر ارتكازى بمعنى أن مقاطعه تتميز بأنها تحمل ارتكاز ضغط أو لا تحمله ؟ الجواب أيضاً بالنفى ، فالمقاطع العربية كما تحمل الارتكاز تتميز بالكم كذلك ؛ وإذن فالشعر العربى يجمع بين الكم والارتكاز وربما كان هذا سبب تعقد أوزانه

ونلخص طبيعة الأوزان العربية بأنها تتكون من وحدات زمنية متساوية أو متجاوبة هى التفاعيل ، وأن هذه التفاعيل تتساوى أو تتجاوب فى الواقع عند النطق بها بفضل عمليات التعويض سواء أكانت مزحفة معلولة أو لم تكن ، وأن الإيقاع يتولد فى الشعر العربى من تردد ارتكاز يقع على مقطع طويل فى كل تفعيل ويعود على مسافات زمنية محددة النسب ، وعلى سلامة هذا الإيقاع تقوم سلامة الوزن

وهكذا ننتهى فى هذا المقال إلى ما انتهينا إليه فى المقال السابق من قيام كافة الأشعار على عنصرى الكم والايقاع ؛ وأما موضع الاختلاف بين الأشعار المختلفة فهو فى كيفية تحقيق هذين العنصرين[1] .

محمد مندور

(١) باستطاعة القارئ إذا أراد أن يقرأ مقالا مفصلا عن « الشعر العربى . غناؤه وأنشاده وأوزانه » فى « مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول » وهي مجلة ستصدر كل عام مرة ، والعدد الأول منها سينتهون من طبعه فى هذه الأيام وهي مخصصة لأبحاث أساتذة الكلية وطنيين وأجانب

العلم فى روسيا

للأستاذ خليل السالم

كان العالم فى السنة الماضية يعجب ببسالة الروس واستماتتهم فى الدفاع عن وطنهم ؛ وهو اليوم يقف مشدوها أمام عظمة الجيش الروسى وقدرته على سحق قوى الألمان الهائلة وتدمير آلتهم الحربية الجبارة وإيقاع الهزائم المنكرة بهم فى كل ميدان

ولنحاول رد تلك المقاومة الرائعة إلى أسبابها الأساسية وتفسير هذه الانتصارات الحاسمة ، نجدنا مسوقين حتما إلى الحكم بأن انتشار الثقافة العلمية وتقدم معاهد العلم وتطبيق النواميس العلمية فى دور الصناعة ووفرة الابتكار والاختراع كانت بين الأسباب القوية والعوامل الفعالة التى يسرت للجيوش الروسية أن تحرز هذا النصر الباهر وتطرد الغازى الغاشم من أراضيها

كان العلم فى روسيا حتى ظهور النظام السوفيتى وتوليه الأمور زينة رسمية تنصبها الحكومة وتغدق عليها الأموال الطائلة دون أمل فى الربح ودون تكليف العلماء جهداً مرهقاً لخدمة الناس ونفع المجتمع . وكانت البلاد منذ أيام بطرس الأكبر الذى أسس أكاديمية العلوم الروسية على النسق الفرنسى تعتمد فى نشر النظريات العلمية الجديدة وشرحها على العلماء الذين يفدون من أوربا الغربية

فدعا بطرس الأكبر مثلاً دانيال برنيولى وليونارد بولر . وحذا خلفاؤه حذوه فى استيفاد العلماء الموهوبين ؛ إلا أن تخلف العامة وتكبيلهم بقيود الجهل لم يتيحا للثقافة العلمية أن تشيع وتزدهر . وقصرت أكاديمية العلوم فى أداء واجباتها وتبليغ رسالتها فلم يكن على العضو الذى انتخب لمقدرته وكفاءته والشهادة له بالذكاء والنبوغ إلا أن يقبض الرواتب الباهظة ويتبع وجيه الخاص فى البحث سواء كان مبتكراً مجدداً أو كان مزوقاً وجه المعرفة بشروح وذيول للنظريات العلمية الشائعة . فعجز العلم لذلك عن أن يغير من حياة الناس ويسمو بمستوى معيشتهم ، ولم يظهر فى سماء العلم إلا عدد ضئيل من النجوم المتألقة من أمثال مندلييف ولومونوسوف ولوباتشفسكى ...

وبين عشية وضحاها أصبحت روسيا بلداً عامراً بالعلم والعلماء وركناً أساسياً فى بناء العلم الخالد ؛ فهى تقدم اليوم لفروع المعرفة أيادى بيضاء لا تقل أثراً عن غيرها من الأمم إن لم تزد

ومع أنها لا تستطيع فى بعض الموضوعات اللحاق بالأمم التى يسر لها الحظ أن تعنى بالكشف والتحقيق قبلها إلا أن ما تسعى له من ترويج الثقافة العلمية وتشجيع البحث سيهيىء لها أن تبلغ الشأو العالى وتتربع على عرش القيادة العلمية مع انكلترا وأمريكا وألمانيا مثلاً : فقد فرضت الحكومة سلطتها فى نشر الفكر المنظم بين طبقات الشعب ، وهى تعمل على خلق البيئة العلمية الصالحة لأن يترعرع فيها العلم وينمو

وتنشر الصحف الكبيرة مقالات مسهبة فى مواضع علمية وصناعية وفنية ، كما تحتل أخبار البحث وتقدم الهندسة الآلية الصفحات الأولى منها . وتكثر المكتبات بشكل عجيب ويعم تداول الكتب ؛ فقد بلغ ما بيع من طبعة روسية لأحد كتب الفيلسوف (كانت) سنة ١٩٣٦ مائة ألف نسخة . وبكلمة موجزة نقول إن العلم فى روسيا لقى من التشجيع أكثر مما لقى فى أى قطر آخر سواء فى تأسيس المعاهد أو تمويل المحترفين

لا يزيد عدد العلماء اللامعين الذين يحتلون مقاماً عالياً على الأربعين ، تثقف معظمهم على عهد القيصرية . فما لا شك فيه أن الوضع القياسى الذى وجد علماء الروس الناشئون أنفسهم فيه قد أجبرهم على التهام الحقائق الجديدة والنظريات الواسعة بسرعة ، فأعوزهم الاختبار الحصيف والنقد العنيف ، نذكر من مشاهيرهم الأستاذ جوف Joffe مدير المعهد الطبيعى التكنيكى فى ليننغراد ، ومؤسس هذا المعهد تحت إشراف أكاديمية العلوم ويكاد تكون بحق بانى النهضة العلمية الحديثة ؛ فمن معهده تخرج الأساتذة الذين يديرون المعاهد الأخرى فى بقية البلدان الروسية . وميدان بحثه خواص الأجسام الموصلة توصيلاً جزئياً . وقد ألقت دراسته ضوءاً ساطعاً على كسر الأجسام العازلة . ويدرس أيضاً مقاومة الأجسام الصلبة ، وكيف تزيد إمكانية الحد أو قوة المادة

ومن تلاميذه ستيبانو Stepano الذى ارتأى أن الاحتكاك

بين سطوح البلورات المتجاورة الواقعة تحت ضغط عال يعقب ميوعة وقتية تفسر كيف تلتوى قطعة معدنية بسرعة ثم تبقى محافظة على الشكل الجديد الذى تأخذه

ومن تلاميذ جوف أيضاً برزلر Bresler وفينو جينوف Phino genov اللذان استخدما لأول مرة كرات الصلب الدقيقة الميكروسكوبية أخاديد فى الكائن ، وانتهيا إلى أن كرات قطرها ($\frac{1}{20}$) من الملليمتر ممزوجة بالزيت تنقص قوة الاحتكاك مرتين ونصف المرة عما تكون عليه لو استعمل الزيت وحده

ومن الأعلام سكوبلتزن Skobeltzyn الذى اكتشف الدقائق السريعة فى الأشعة الكونية . ففى سنة ١٩٢٦ ابتدأ قياس سرعة الكهارب المنطلقة من مادة مشعة باستخدام غرفة ولسن القائمة الحاطة بمجال مغنطيسى . وفى سنة ١٩٢٧ نشر صوراً فوتوغرافية لدقائق انبعثت بسرعة عجيبة حتى أن مساراتها لم تتضح وتظهر . وحصل سكوبلتزن على صور للبوزيترونات وكان حسن الحظ فى سبقه كل العلماء فى التعرف إلى طبيعتها

ودرس سيمينوف Semenov وجارتون Chariton التفاعلات السلسلية ، وقدمت مدرستها معلومات هامة عن المتفجرات ، وخصائص بعض الآلات

وقد بنيت مؤسسة « للمسائل الطبيعية » فى موسكو ليشتغل فيها العالم الفذ كابتزا Kapitza وهو مبتكر مسيلة هواء جديدة تستخدم ضغطاً جوياً ضئيلاً لتشغيل الهواء حتى يفقد طاقته ويبرد بنفسه

ومن العلماء الناشئين ليسنكو Lysenko الذى استطاع أن يكسب لنفسه شهرة عالية بالرغم من حداثة سنه . وقد نشر أول أبحاثه سنة ١٩٢٨ وهو يبحث فى الحياة النباتية ويدرس العلاقة بين الزرع والبيئة ، والشروط الصحية التى يحيا فيها النبات ويسرع نموه ، وساعده رازوموف Razumov وليبمنكو Liubimenko فى أن يجعلوا سهول أكرانيا الفسيحة تنتج أضعاف ما كانت تنتج بانتخاب أنسب الأوقات لبذر الحبوب . وهو عالم نظرى بالإضافة إلى أبحاثه الزراعية الحيوية . ويقول فى مناسبة ما : « إن الشعب فى روسيا المتحدة لا يولد ؛ إن هى إلا أجسام حية تلك التى تولد ؛ أما سائقو الجرارات ، وميكانيكو المحركات ، والعلماء والباحثون فإنهم هنا يصنعون . إننى من أولئك الرجال الذين صنعوا ولم يولدوا . ويسعد المرء جداً أن ينتسب إلى مجتمع كهذا »

ومن العلماء النابهى الذكر رهبايندر Rehbinder ، درس خواص السطوح سواء الطبيعية والكيميائية منها . وله آراء جليلة حول وظيفة العلم فى المجتمع ، وهو يرى أن العلم لا يخدم الصناعة وإنما يسودها بخلق صناعات جديدة وإفساح مجالات أرحب للتطبيق العملى . وله مكتشفات رائعة عن قوة المعادن وتأثير الصفائح الرقيقة فى قساوة الأجسام

ومنهم فافيلوف Vaviloff ، وقد عنى بدرس أصل الزراعة وتزاوج النباتات فى أنحاء الاتحاد السوفياتى . وقد وجد أن هناك عشرين نوعاً من قمح الخبز فى أوروبا ، واثنين وخمسين نوعاً فى إيران ، ولا أقل من ستين نوعاً فى أفغانستان . ومنهم أيضاً العالم مسُّفِسكى وقد درس قوة الأشعة الكونية فى النفاذ من طبقات مائية كثيفة . وأجرى تجاربه فى نهر نيقا قرب لننغراد فى شمال روسيا ، وأسفرت تجاربه عن نتائج أيدت نتائج ملكن العالم الشهور بدراسة هذه الأشعة

وعلى وجه العموم نرى أن علماء روسيا معنيون أول ما يكون بدرس المسائل العلمية المتعلقة بالصناعة والتطبيق والحياة . فقد فرضت السلطة سيطرتها على العلم ، ووجهت أكاديمية العلوم وجهة تقصد التجديد فى الصناعة واستغلال القوى الكامنة فى البلاد والعمل لرخاء الشعب ، فنقلتها إلى موسكو لتكون مؤسساتها فى موقع حربى أمين ، وتكون قريبة من الإدارة الحكومية . وجرى تبادل رجال العلم بين الجامعات ودور الصناعة ، فأستاذ الجامعة يقضى وقتاً كبيراً فى المصنع مشرفاً عليه محاولا تحسينه وجودة إنتاجه . ويحاضر رجال الصناعة فى الجامعة فى مدى تطبيق العلم النظرى ، وعن المشاكل الراهنة التى تجابهها الصناعة والتى يتوقع من المختبر حلها . وكان لهذا التعاون الفريد نتائج باهرة فى الناحيتين المهنية والتطبيقية .

ويقضى التنظيم الحديث أن يعنى العالم بتطبيق ما يكتشف قبل أن يسير وراء نتائجه إلى أبعد الحدود النظرية . ولا يجوز له

أن يصرف جهوده فى بحث توفر عليه أحد العلماء الآخرين . ويجب نشر آخر ما ينتهى إليه عالم ليوفر على آخر جهداً يقصد منه الوصول إلى تلك النتائج عينها . فيتوزع بذلك الاهتمام على بين الأبحاث على وجه مستقيم ، ولا يفر العلماء إلى ميادين كلاسيكية نظرية .

ولا يجوز للعالم أن يغير اختصاصه المقرر له إلا بعد مداولات طويلة مع رؤساء المعهد الذى ينتسب إليه ، وندر ما لقيت رغبة العالم فيما يود الخوض فيه من أسرار الكون والحياة أدنى اعتبار .

وعند النظر فى قيمة هـذا التنظيم وانسجامه مع روح العلم ونجاحه فى خلق العلماء والمبتكرين ، نرى أن علماء أوربا الغربية وأمريكا لا يتفقون على وجهة نظر واحدة . فمنهم من يحبذ رسم الخطط العلمية ، لأن غرض العلم الأساسى ، كما يجب أن يكون ، خدمة المجتمع وسعادة الناس . ويرى هـذا الفريق أن إرشاد العلماء وحشدهم فى فئات مستقلة تدرس كل فئة منها موضوعاً بعينه يتقدم بالعلم خطوات فسيحة ، ويحول دون أن تضيع جهود كثيرة عبثاً .

والذين ينكرون هذه الطريقة يعتقدون أن ضغط السلطة وفرضها أوامر متحكمة على العلماء يؤذى العبقريات ويخمد جذوتها المشتعلة ، ويحرمهم من اختصاصهم الذى يلذ لهم ويشغفون به ، وحجتهم أن التاريخ العلمى يوضح بجلاء أن العلماء الذين أفادوا البشر وخدموا الصناعة لم يقصدوا ذلك قبل أن يقصدوا لذتهم الخاصة وكشف الحقيقة قبل أى شىء آخر . وقد انتقل هؤلاء من بحث إلى آخر ، كما تنتقل النحلة بين أزهار الرياض . فيجب أن يكون لكل عالم تفرده فى البحث وحريته فى اختياره لحريته فى النشر والكلام .

وتدور اليوم معركة حامية فى الكتب والمجلات بين كبار العلماء من أنصار الرأيين . ولا ينكر أن العلم المنظم قد نجح فى روسيا نجاحاً باهراً ؛ فهل يعنى هـذا أن تنظيم العلم ضرورى ؟ لعلنا نعود للجواب على هذا السؤال فى بحث قريب .

«السلط — شرق الأردن» **خليل السالم**

ب . ع من الدرجة الأولى
فى الرياضيات

عبقرية الإمام

للأستاذ محمود أبو رية

لم يُؤتَ أحد من أصحاب رسول الله من العلم والفضل مثل ما أوتى على رضى الله عنه ، ولم يرد فى حق أحد منهم بالأسانيد الجياد مثلما جاء فيه . وما ظنك برجل خرج هو والنبى من نبعة كريمة واحدة ، ونشأ تحت جناح النبوة وتربى فى كنفها وتولى رسول الله هدايته وتثقيفه وجعله أولى الناس به فقال له : « أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ » ، وعلى أنه كان بهذه المكانة فإنه لم ينل أحد من الظلم مثل ما ناله ، ولا لقى إنسان من المصاعب والمتاعب مثل ما لقى ؛ فقد أحاط به ما نغص عليه عيشه وأفسد عليه أمره من أحقاد جاهلية وسخائم أموية وضغائن بدرية وإحن أحدية وغير ذلك . وإذا رجعنا إلى تاريخه ألفيناه قد ضاع بين متشيعين بالغوا فى تشيعهم حتى ألّهوه ، ومبغضين أمعنوا فى بغضهم حتى كفروه

فمثل هذا الإمام العظيم المؤتلف فى نفسه المختلف فى تاريخه كان جديراً ألا يتولى ترجمة حياته ودرس عبقريته إلا مؤرخ حكيم ينفذ إلى نفسيته بفكر ثاقب ونظر نافذ ، ويدرس تاريخه بعقل القاضى العادل البصير الذى يبحث ويستقرئ فيرد الأمور إلى أسبابها والأحداث إلى عللها ليخرج هذا التاريخ صحيحاً لا إفراط فيه ولا تفريط ، فيعرف الناس منه فضله ويقدرونه قدره ويقبلون على سيرته يدرسونها وينتفعون بها .

ولقد سرنا أن يتولى الأستاذ الكبير عباس محمود العقاد درس تاريخ هذا الإمام وأن يجعل من هذا التاريخ فريدة فى سمط عبقرياته النفيسة سماها (عبقرية الإمام)

قرأنا هذا الكتاب فرأينا كاتبنا الكبير يقول فى تقديمه : « فى كل ناحية من نواحى النفوس الإنسانية ملتقى بسيرة على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، لأن هذه السيرة تخاطب الإنسان حيثما اتجه إليه الخطاب البليغ من سير الأبطال العظماء وتثير فيه أقوى ما يثيره التاريخ البشرى من ضروب العطف ومواقع العبرة والتأمل » ، ثم نفذ إلى ما اتصف به الإمام من مثل التقوى والزهد ، وإلى ما ورثه عن أسرته العربية من النبل والأيد والشجاعة والمروءة والذكاء ، وبين الآثار العملية لكل ذلك مع أعدائه وأوليائه على السواء ، وانتهى من هذا الفصل إلى (مفتاح شخصيته) ثم تناول هذا المفتاح ليفتح به كل مستغلق من شخصيته ويوضح كل مبهم من سيرته

كسر الأستاذ العقاد كتابه على عشرة فصول بعد التقديم ختمها بفصل عنوانه (صورة مجملة) جرى قلمه فيها كلها بما عهدناه من قبل فى عبقرياته التى سبقت من حيث البحث العميق والدرس الدقيق مما كنا نود أن نعطيه حقه من البيان ونوفيه قسطه من الإشادة ، ولكن المقام لا يتسع فلنجتزئ بكلمة صغيرة عن فصل البيعة الذى هو أروع فصول الكتاب

مهد المؤلف لهذا الفصل بفصل آخر عن عصر الإمام قال فيه إنه لم يكن عصر خلافة بل كان عصراً عجيباً بين ما تقدمه وجاء فى أعقابه ؛ فلم يثبت كل الثبوت ولم يضطرب كل الاضطراب فكان فى ناحية كل عوامل الرضا عن النظام الاجتماعى ، وفى ناحية أخرى كل عوامل التذمر من هذا النظام ، ومضى يبين أسباب استقرار النظام فى الجانب الذى كان من نصيب معاوية ؛ فذكر أن الشام كان أرضاً أموية من يوم أن لجأ إليها فى الجاهلية أمية جد الأمويين وما جاء بعده من أبنائه متّجرين أو مهاجرين إلى أن تولى إمارتها يزيد بن أبى سفيان من قبل أبى بكر الذى جاء بعده معاوية من قبل عمر ذلك الدّرهى الذى قضى زمناً طويلاً لا يعمل عمل الوالى ، ولكن يعمل عمل صاحب الدولة التى يقيمها لنفسه ولأولاده من بعده . وكانت وسيلته فى ذلك أن يغمر الناس بالأعطية ، السوقة منهم والشرفاء . وقد بلغ من دهائه أن طوى عقيلاً أخا على بعطائه ، أما المخالفون له فكان جزاؤهم العقاب والنفى ، ثم أخذ يصف الجانب الآخر الذى كان يتولاه على ؛ فقال إنه كان مصاباً بملل التنافس بين العواصم والتبرم من العيش والتطلع إلى الخلافة وما تكنه العبيد والموالى لقريش بله ما وراء ذلك كله وهو المال الذى كان فى يد معاوية وحده

ولما أنشأ يتكلم عن بيعة على قال إنه بويع بالخلافة بعد حادثة من أفجع الحوادث الدامية فى تاريخ الإسلام وهى مقتل عثمان ؛ وأخذ يحلل الحوادث التى أفضت إلى قتل هذا الخليفة وموقف على من هذه الجريمة ، وناضل ببراهين قوية عن هذا الموقف ، وانتهى من نضاله إلى أن علياً — لم يكن يقدر على اجتناب هذا المصير

من معاوية أو من عثمان نفسه — وأنه صنع غاية ما يصنع رجل معلق بالنقيضين ، مسئول عن الخليفة أمام الثوار ، ومسئول عن الثوار أمام الخليفة ، وإنه كان يعالج داء « استعصى دواؤه وابتلى به أطباؤه » . ثم أخذ بعد ذلك يناقش الذين خرجوا فى وجهه يطالبون — بزعمهم — بدم عثمان ، فقال عن طلحة والزبير إنهما كانا يعهدان أثناء حياة عثمان لتولى الخلافة ؛ أما عائشة فقد كانت تنادى بقتل عثمان وتود أن يتولى الخلافة طلحة لأنه من قبيلتها أو الزبير لأنه زوج أختها

وعلى أنه قد درس مواقف هؤلاء الثلاثة الذين كانوا يتآمرون على عثمان قبل قتله ، ثم خرجوا على علىّ بعد ما تولى وأبان وجه الحق فى ذلك فإن قلمه كان رفيقاً بعائشة فلم يجر بشىء من مؤاخذتها

وقد عرض المؤلف لما قام بين على ومعاوية من خلاف فاستقصى أسبابه البعيدة والقريبة وانتهى إلى أن أمر معاوية لم يكن كما يبدو فى ظاهره من أنه كان من أجل عثمان وإنما كان من أجل أبهة الملك وسلطان الحكم ، وقضى بحق أن هذا الخلاف لم يكن بين على ومعاوية وإنما كان « بين نظامين متقابلين وعالمين متنافسين ، كان صراعا بين الخلافة الدينية كما تمثلت فى على ، والدولة الدنيوية كما تمثلت فى معاوية » ولا ريب فى أن يكون الغلب للدولة الدنيوية ، لأن هــذا هو ما تقضى به طبائع النفوس وغرائز الأمم . ولقد صدق عمرو ابن العاص فى قوله : « لا يصلح لهــذا الأمر إلا رجل له ضرسان يأكل بأحدهما ويطعم بالآخر »

وقد انتهى كاتبنا من دراسته لتاريخ هذا الإمام إلى أنه « هو الذى شاء القدر أن يجعله فدية للخلافة الدينية فى نضالها الأخير مع الدولة الدنيوية » وأجمل صورته فى أنه كاد « صورة المجاهد فى سبيل الله بيده وقلبه وعقله أو صورة الشهيد »

ولنقف عند هذا الحد كما وعدنا إذ لا نستطيع أن نبين كل ما تناوله قلم العقاد من بحث وما نفذ إليه من استقصاء

بقيت أشياء لا بد من ذكرها والإبانة عنها حتى نبلغ من كلامنا ما نريد ، ذلك أنى عثرت وأنا أقرأ ببعض ألفاظ كنت أقف عندها مثل لفظ (تعلاه ص ٤٠) و (حانقين ص ٥٥) و (فشل ص ٨١ و ٩٦ و ١١٠ و ١٢٦) وقد رجعت إلى معاجم اللغة التى بين يدى فى اللفظ الأول فوجدته من لغة طى ، وإذن يكون استعماله جائزاً ؛ أما اللفظان الآخران فإنى أرجع فيهما إلى الأستاذ العقاد وأسأله :

هل يجوز استعمال كلمة (فشل) فى معنى أخفق وخاب وإن يأتى اسم الفاعل من حنق على حانق هذا إذا لم تكن هذه اللفظة من أخطاء الطبع التى كثرت فى هذا الكتاب على غير ما نعهد فيما يطبع بمطبعة المعارف التى عرفت بجودة الطبع ودقته

واستشهد بعبارة مشهورة وضعها شيوخ الدين وجعلوها حديثاً للرسول ليعلوا بها قدرهم ، وهى (علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل)

وكنا نود من مؤلفنا وهو الأديب الكبير أن يطيل الحديث فى بلاغة الإمام ، وأن يعرض لأسلوبه وطريقته فى الكتابة والقول فيدرسها ويبين هذا الأسلوب لكي يعرف الأدباء من هــذه الدراسة ما لعلى فى كتاب نهج البلاغة وما لغيره ، لأن الأدب وتاريخه فى حاجة إلى هذا العمل الجليل ؛ ولعله يجعل من هذا الدرس بحثاً فنياً برأسه يضيفه إلى أبحاثه القيمة التى ينفع بها الأدب والأدباء .

(المنصورة) محمود أبو رية

پاتوزيس يرثى أزمردا

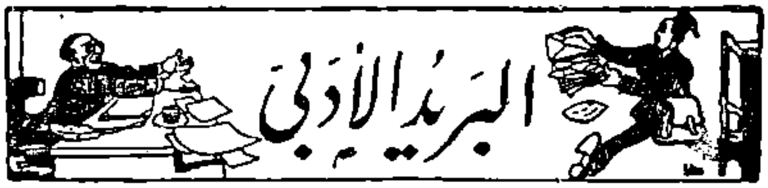
أغنية الرياح الأربع

للأستاذ على محمود طه

[باتوزيس وأزمردا من أبطال قصة أغنية الرياح الأربع التى تصدر بعد يومين للأستاذ الشاعر على محمود طه ، أولهما مصرى وثانيهما فينيق . كانا فى بدء حياتهما صديقين يعملان فى الملاحة ثم ضربت الأيام بينهما فاذا بالأول يهيم فى الآفاق شاعراً منشداً يعيش ليومه قبل غده ، وإذا بالثانى يصبح قرصاناً ذائع الخطر . وتجمعهما الأيام فى ميناء بيلوس فيروع باتوزيس نوازع الشر والاثم من صديقه أزمردا ، ويسخر أزمردا بمثل صديقه العليا وما هو فيه من فقر وتصريد . ويضيف صديقه فى سفينته ، وتسنح آلهة الرياح الأربع لأزمردا فى صورة فتيات جميلات يخطرن على شاطئ مصر فيدفعه الشر إلى اقتناصهن ليبيعهن فى سوق الرقيق ، ولكنه يعلم من أمرهن الحقيقة فيغلو فى أطماعه فيفكر فى اختطافهن للاستيلاء على الرياح الممثلة فيهن ليسخر قواها فى غزواته الاجرامية . وتنتهى وقائع القصة فى سفينته حيث تظهر معجزة آلهة الرياح الأربع وتقف دونها أروع الحيل التى لجأ إليها القرصان . فيخر أزمردا صريع غدره بالآلهة وطمعه فيما لا قبل لبشرى به ، فيغرق بسفينته المحطمة بينما تطير الرياح الأربع إلى الشاطئ ومعهن باتوزيس وقد وقف ذاهلا مما مر به ، محدقاً فى بقايا السفينة الغارقة وهو ينشد :

أثرٌ ليس يُلمَحُ وخيالٌ مُجنّحُ
وشراعٌ مُحطَّمٌ حوله الموتُ يسبحُ
مُغْرَقاً لا تَهزُّهُ نَسْمَةٌ أو تُرنّحُ
يحتويهِ مزمجرٌ مظلمُ الغور أفيحُ
غرقتْ تلكمُ السفيـــنةُ وانفضَّ مسرحُ
ما لرُبّانها الطمو حِ : أما عاد يطمحُ ؟
وهُوَ وهو ذاهلٌ أغبرُ الوجهِ أكلحُ
يتكفّا رجالُه حوله وهو يَضبحُ
بعد ما كان بينهم يتغنّى ويمــرحُ
غرّهُ السيفُ مُصْلَتاً بالمنـــايا يُلوّحُ
لا يبالى إذا رمى كيف يُثرى ويذبح
خالنى إذ دعوتُهُ دعوةَ الخير أمزحُ
عاشَ لو قدّرَ النصيـــحةَ أو كان يُنصَحُ
يحسنُ الشرّ بالغريـــزةِ والخيرُ يقبحُ
صاحبَ الأمس لا رحيـــقَ ولا كأسَ تَصدح
فاشربِ اليوم من إنا ئكَ بالموت يطفحُ
أمِنَ البحرُ مخلبيـــكَ وشطٌّ وأبطحُ
وعذارى كأنهنّ الأقاحُ المفتّحُ !
محصَناتٌ تصيدهنّ وتغوى وتفضحُ
أيها الصقرُ لا تَغُرْ فللرّيحِ أجنُحُ !
يتلقّاكَ بأسُها صامداً لا يُزَحْزَحُ
هُنَّ من رحمةِ السما ءِ مقاديرُ تسنحُ
فإذا الطائرُ السّجيـــنُ طليقٌ مُسَرَّحُ
وإذا الصائدُ الغشـــوم صريعٌ مُطَرَّحُ
من دم الغدر قَلْبُهُ سائلُ العرقِ ينضحُ
فامضِ لا فرحةَ بمو تكَ ! ما الموتُ يُفرِحُ
قد عفا عنكَ هالكاً قَدَرٌ ليس يصفحُ !

على محمود طه



بين الفكر اليوناني والفكر المصري

ذهب الدكتور طه حسين بك إلى أن الثقافة اليونانية هي مصدر الثقافات الإنسانية ، وأن الناس في الشرق والغرب ، وفي جميع الأجيال مدينون لثقافة اليونان

والدكتور زكي مبارك يرى أن الدكتور طه قد قرأ في كتب تتعصب لليونان ، ولم يقرأ في كتب ترد أصل الحضارات إلى مصر ، وهو قد قرأ ما قرأ وهو مطمئن كل الاطمئنان إلى من ينقل عنهم في غير ما نقد ولا تحليل

فما هو وجه الحق في هذه المسألة ؟

قد يكون من الحق أن العقل وجد مع الإنسان وبقي هو هو في جوهره ، وقد اصطفته الأمم الشرقية في الماضي السحيق فاستحدثت الصناعات والعلوم والفنون ولقفتها اليونان فحملت عنها عبء التفكير فيها وكفتها شر هـذا الجهاد الذي كان لا بد أن تنفقه حتى تخلص إلى هـذه النتائج التي انتهى إليها الشرقيون

نعم ! لقد كانت القصص الدينية وبعض الأفكار في العالم والحياة معروفة ؛ فقد كان هناك التوحيد والشرك ، وكانت الثنائية الفارسية ، وكانت وحدة الوجود عند الهنود

غير أنا إذا لحظنا صيغة القول ومنهج البحث عند الشرقيين لم ندع هذا الضرب من المعرفة فلسفة ، لأن أفكار الشرق كانت تسيطر عليها النزعة الدينية الخيالية التي لا تمت إلى منهج البحث العقلي بأية رابطة

ومع ذلك فقد يمكن القول بأن البابليين والعبرانيين والمصريين قد جهلوا الفلسفة بالرغم مما بلغه علماؤهم من ثقافة عالية . ولعل في قصة أوزوريس وعبادة أمون ما يدل دلالة واضحة على أن المصريين لم تكن لهم فلسفة بالمعنى المعروف في الاصطلاح

هذا ما قصد إليه الدكتور طه وهو رأي لا يحتاج إلى توضيح

ماهر قنديل

المناقشة بعد المحاضرة نظام إسلامي قديم

منـذ أيام كنا نستمع في القاعة الشرقية بالجامعة الأمريكية إلى إحدى المحاضرات ، وفي نظام هذه المحاضرات أن يعقبها أسئلة يوجهها السامعون للمحاضر مكتوبة على أوراق صغيرة ؛ وهو يجيب على ما يستطيع الإجابة عليه منها

وقد قالوا إن نظام المناقشة بعد المحاضر على النحو السابق نظام ابتدعته الحضارة الحديثة ، وكان للجامعة الأمريكية فضل استحداثه وتنظيمه في مصر والشرق

والحق أن نظام المناقشة بعد المحاضرة على الطريقة المذكورة نظام إسلامي كان معروفاً في البلاد الإسـلامية منذ ستة قرون أو تزيد ؛ والرحالة أبو عبد الله شمس الدين ابن بطوطة المتوفى سـنه ١٣٧٧ م قد أشار إلى مثل هـذا النظام في رحلته وهو يتكلم عن مدينة « تُسْتَر » التي فتحها المسلمون على يد خالد بن الوليد ، فيقول عن الشيخ شرف الدين موسى ما نصه(١) :

« وهذا الشيخ من أحسن الناس صورة وأقومهم سيرة ، وهو يعظ الناس بعد صلاة الجمعة بالمسجد الجامع . ولما شاهدت مجالسه في الوعظ صَغُر لدى كل واعظ رأيته قبله بالحجاز والشام ومصر ، ولم ألق فيمن لقيتهم مثله

حضرت يوماً عنـده ببستان له على شاطىء النهر وقد اجتمع فقهاء المدينة وكبراؤها ، وأتى الفقراء من كل ناحية ، فأطعم الجميع ، ثم صلى بهم صلاة الظهر ، وقام خطيباً وواعظاً بعد أن قرأ القراء أمامه بالتلاحين المبكية ، والنغمات المحركة المهيجة ، وخطب خطبة بسكينة ووقار ، وتصرف في فنون العلم من تفسير كتاب الله ، وإيراد حديث رسول الله والتكلم على معانيه ، ثم ترامت عليه الرقاع من كل ناحية ؛ ومن عادة الأعاجم أن يكتبوا المسائل في رقاع ويرموها إلى الواعظ فيجيب عنها ؛ فلما رُمي إليه بتلك الرقاع جمعها في يده ، وأخذ يجيب عنها واحدة بعد واحدة بأبدع جواب وأحسنه ؛ وحان وقت صـلاة العصر فصلى بالقوم وانصرفوا » ا هـ

أحمد الشرباصي

« كلية اللغة العربية »

(١) أنظر « مهذب رحلة ابن بطوطة » ج ١ ص ٤٤٦ طبعة ١٩٣٩

لبشار أم لكثير عزة ؟

١ — كنت أطالع في قصة الأدب في العالم حتى وصلت إلى الباب الذي عقده الأستاذ « أحمد أمين بك » عن الأدب العربي في العصور الوسطى ، فاستوقفني ما نسبه إلى « كثير عزة » (ص ٣٧٤) ، وهو يعرض أمثلة من شعر الغزل والتشبيب لإمامي المحبين « جميل بن معمر » ومجنون ليلى :

فقد جاء ما نصه أن « كثير عزة » قال :

يزهدني في حب « عزة » معشر
قلوبهم فيها مخالفة قلبي
فقلت دعوا قلبي وما اختار وارتضى
فبالقلب لا بالعين يبصر ذو « اللب »
وما تبصر العينان في موضع الهوى
ولا تسمع « الآذان » إلا من القلب
وما الحسن إلا كل حسن دعا الصبا
وألف بين العشق والعاشق الصب

فلو وضع « عبدة » موضع « عزة » — والأذنان مكان الآذان حتى يستقيم المعنى جيداً — لكانت أمامنا أبيات بشار المشهورة ، وقد ذكرت هذه الأبيات في الأغاني منسوبة إلى بشار (ص ٦٥ ، جزء ثالث — للشنقيطي)

٢ — وبهذه المناسبة أيضاً أقول بأن الأبيات المشهورة التي رويت عن حمدونة الأندلسية تصف فيها وادياً — والتي تتخذها مثالاً بارعاً يشير إلى تأثير طبيعة الأندلس الخلابة في شعرائها :

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث العميم الخ

قد نسبت خطأ إلى « أبي نصر أحمد بن يوسف المنازى » في قصته مع أبي العلاء المصري .

(المنصورة) عبد الحميد عثمان عبد المجيد

من الشعر المنسي لحافظ بك ابراهيم

نسي الأستاذان احمد أمين والزين أن يوردا هذه القصيدة في ديوان حافظ فآثرنا نشرها في الرسالة للقراء :

أنا في يأس وهم وأسى حاضرُ اللوعة موصول الأنين
مستهين بالذي لاقيته وهو لا يدري بماذا يستهين
سورٌ عندي له مكتوبةٌ ودّ لو يسرى بها الروح الأمين
إنني لا آمنُ الرسل ولا آمنُ الكتب على ما يحتوين

رضوان العرايلي

الخطايا السبع

نحن في حاجة ماسة إلى القصص المترجمة بنوعيها ، القصيرة والطويلة ، ونحن في حاجة ماسة إلى القصص المنقولة بأقلام قوية معروفة في عالم الأدب المصري الحديث لأنها الأقلام التي تضع لنا دعامة هذا الأدب وتغذيه وتواليه في نشأته الأولى حتى يقوى ويشتد ساعده ... أما الأقلام المرتزقة التي تمسخ روائع الأدب الغربي وتسمى عملية المسخ هذه ترجمة فهي أضر شيء بنهضتنا ... لأن القصص المترجمة تكون عادة نماذج يحتذيها كتابنا الناشئون ولا سيما الذين لا يعرفون لغة أجنبية ؛ فإذا وضعنا بين أيديهم قصصاً ناجحة أحسنا اختيارها لهم وترجمناها ترجمة صادقة قوية أفدناهم بعملنا هذا أجزل الفائدة ... والعكس ...

أكتب هذا بمناسبة فراغي من قراءة هذه المجموعة الجميلة (الخطايا السبع) لصديقي الأستاذ علي أدهم الذي أغبطه وأهنيه بما وفق إليه من اختيار هذه القصص القصيرة الشائقة لأحسن الكتاب العالميين وترجمتها هذه الترجمة الرائعة التي أكسبها ذوقه الفنان وقلمه المبدع ثوباً حبيباً قشيباً ...

وإن كان لا بد من أن أتناول (الخطايا السبع) بشيء من النقد ، فإني أحصر ملاحظاتي فيما يأتي :

١ — كان يحسن أن يشرح الأستاذ الكلمات التي تدق على فهم غالبية القراء في أسفل الصفحة ... وإلا فكم من القراء يفهمون هذه الكلمات : وَحْف . فرعاء . ثغر شنيت . الجمافر . عقلة النفوس ... وذلك في قصة واحدة

٢ — كنت أوثر أن يهمل الأستاذ القصة المشهورة إلى غير المشهورة ... وذلك مثل قصة تشيكوف (قصة بلا عنوان) فقد ترجمت غير مرة ، وإن تكن من القصص الروسية الرائعة

٣ — أوصاني الأستاذ أن أبدأ بقراءة قصة فرانس (في الصومعة) فلما فرغت منها عرفت أن الأستاذ أدهم — العالم الذي يهوى الفلسفة — هو الذي كان يوصيني أن أبدأ بهذه القصة ... ولو سألني عن رأيي الصريح لأخبرته أنها ليست قصة ، ولكنها مقالة أو Essay فلسفي ... ولم يكن موضعها بين هذه القصص الشائقة

٤ — كان يفيد الأستاذ قراءه جداً لو أنه سبق كل قصة

بترجمة خاطفة لكل كاتب لا تزيد على نصف صفحة كما ترجم ل سينكوكز مثلاً

ومع هذا .. فالخطايا السبع من أحسن مجموعات القصص المترجمة عندنا ونحن ننتظر من الأستاذ الصديق ... المزيد .

دريني خشبة

جماعة نشر الثقافة – حفلة تأبين تقلا باشا

تقيم جماعة نشر الثقافة بالأسكندرية حفلة لتأبين فقيد الصحافة « تقلا باشا » فى تمام الساعة الرابعة والنصف من مساء يوم الإثنين الموافق ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٣ بمسرح نادى موظفى الحكومة (الواساة) وخطباء المحفل وشعراؤه الأساتذة الأجلاء

١ — كلمة الافتتاح صاحب السعادة أحمد كامل باشا مدير بلدية الأسكندرية

٢ — كلمة للأستاذ عبد الحميد السنوسى المحامى

٣ — قصيدة الأستاذ خليل شيبوب

٤ — الأهرام فى خدمة الصحافة والأمة الأستاذ أحمد الطاهر

٥ — قصيدة . الأستاذ عثمان حلمي

٦ — تحية القارىء العادى للأهرام . الأستاذ إلياس بدوى

٧ — قصيدة دمعة الأسكندرية . الأستاذ مصطفى على عبد الرحمن

٨ — الإبن سر أبيه . الأستاذ صديق شيبوب

٩ — قصيدة . الأستاذ حسين الشبيشى

١٠ — كلمة الأهرام

إستدراك

جاء فى المقال الأول بالعدد ٥٣٧ للدكتور عبد الوهاب عزام ، وفيما يليه ، بعض كلمات مبهمة ، ننشر صوابها فيما يلى :

أتأمل السور الضيق . والصواب : السور العتيق

أتأمل الأطفال حول آبائهن . والصواب : حول آبائهم

وفى المقال الثانى :

قبة صغيرة جميلة تحتها قبة صغيرة . والصواب : تحتها حجرة صغيرة

صففت فى مدخل المتحف وبداخل التكية . والصواب : فى مدخل المتحف وهو التكية

وفى الحاشية : وهذا التاريخ لا يوافق السلطان عبد الحميد . والصواب : السلطان عبد الحق .

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع السلطان حسين — عابدين)